المجلة السعودية للدراسات التربوية
والنفسية
الإصدار السابع عشر
المجلد (٦) العدد (٣)
٢٠٢٥ (١-٢١)

الواجب الأخلاقي بين الفلسفة الدينية الإسلامية والمسيحية: دراسة تحليلية مقارنة

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

حسن فرحان عباس العتابي

طالب دكتوراه في فلسفة الدين، جامعة طهران، فارابي.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٣٠ أغسطس ٢٠٢٥م

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع الواجب الأخلاقي بين الفلسفة الدينية الإسلامية والمسيحية بمنهج تحليلي مقارن؛ حيث تم تحليل النصوص الدينية في الإسلام (القرآن الكريم والسنة) والمسيحية (الكتاب المقدس وتعاليم المسيح) للوقوف على الأسس التي يقوم عليها الواجب الأخلاقي في كلا التصورين. ثم قارن الباحث بين الجانبين من حيث نقاط الالتقاء والافتراق، مع تقييم متزن في ضوء الأصول الدينية. وقد خلصت الدراسة إلى أن كليهما يجعلان الواجب الأخلاقي جزءًا أصيلًا من الدين، مع تمايز التصور الإسلامي بثبات مرجعيته وارتباطه الوثيق بالعقيدة والتشريع، بينما يتسم التصور المسيحي بتركز محوره حول المحبة والخلاص. واختُتم البحث بجملة من النتائج والتوصيات التي تدعو لتعزيز الدراسات المقارنة في حقل الأخلاق الدينية، وبيان محورية الأخلاق في بناء المجتمعات.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، الواجب الأخلاقي، الإسلام، المسيحية، مقارنة.

*** المقدمة**

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله، ويوافي نعمَه، ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على من جاء بأكمل الشرائع وأتمّ الأخلاق، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

أما بعد: –

فإن موضوع "الواجب الأخلاقي بين الفلسفة الدينية الإسلامية والمسيحية: دراسة تحليلية مقارنة"، من الموضوعات ذات الأهمية البالغة في حقل الدراسات الفلسفية والدينية، لما يمثله الواجب الأخلاقي من أساس تنبني عليه سلوكيات الأفراد، وتستقيم به المجتمعات، وتُرسم به حدود الفضيلة والمعايير الإنسانية.

*** أهمية الموضوع**

تبرز أهمية هذا البحث من اعتبارات عدّة: –

١– بيان الأساس الديني الذي يُبنى عليه الواجب الأخلاقي في كل من الإسلام والمسيحية.

٢– الوقوف على الفروق الجوهرية والتقاطعات بين التصورين الإسلامي والمسيحي، في ضوء الأصول الدينية والنصوص المقدسة.

٣– إثراء حقل مقارنة الأديان والفلسفة الأخلاقية بدراسة تجمع بين التحليل والمقارنة.

*** دواعي اختيار الموضوع**

١– قلة الدراسات المقارنة المتخصصة التي تجمع بين التصور الإسلامي والمسيحي للواجب الأخلاقي من منظور ديني فلسفي.

٢– الحاجة إلى تحرير المفاهيم الأخلاقية الدينية من التصورات الوضعية المحضة.

٣– إظهار تكامل التصور الإسلامي في معالجة القيم الأخلاقية مقارنة بنظيره المسيحي.

*** أهداف البحث**

١– تحديد مفهوم الواجب الأخلاقي في الإسلام والمسيحية.

٢– بيان الأسس الدينية التي يقوم عليها الواجب الأخلاقي في كلا التصورين.

٣– الكشف عن نقاط الالتقاء والافتراق بين التصورين الإسلامي والمسيحي.

٤– تقديم موازنة تحليلية مقارنة توضح تمايز المنظور الإسلامي في هذا الباب.

*** تساؤلات البحث**

١– ما هو مفهوم الواجب الأخلاقي في الإسلام والمسيحية؟

٢– ما هي الأسس الدينية التي ينطلق منها كل تصور؟ أين تتفق الرؤيتان؟ وأين تختلفان؟

٣– ما تقييم هذه التصورات في ضوء المنهج التحليلي المقارن؟

*** المنهج المتبع**

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التحليلي المقارن؛ حيث تم تحليل النصوص الدينية في الإسلام والمسيحية المتعلقة بالواجب الأخلاقي، ثم مقارنتها للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف، مع تقديم موازنة تقييمية في ضوء الأصول العقدية والدينية.

*** حدود البحث**

يقتصر هذا البحث على دراسة الواجب الأخلاقي في التصور الديني فقط لدى الإسلام والمسيحية، من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، والكتاب المقدس ﴿العهدين القديم والجديد﴾، مع الاعتماد على تفاسير معتمدة وشروح معاصرة، دون التطرق للتصورات الفلسفية الوضعية أو الأخلاقية في بقية الأديان.

*** الدراسات السابقة**

اطلعت الدراسة على جملة من البحوث ذات الصلة، أبرزها: –

١– القيم الأخلاقية في الأديان السماوية" – د. أحمد كمال – رسالة ماجستير – جامعة القاهرة – كلية دار العلوم – ٢٠١٧م.

تناول البحث القيم الأخلاقية في الأديان الثلاثة ﴿اليهودية والمسيحية والإسلام﴾ دون تخصيص للواجب الأخلاقي، مع تركيز أكبر على القيم الاجتماعية.

٢- الواجب الأخلاقي عند كانط وتأثيراته في الفكر المسيحي" - أ. سامح جرجس -بحث محكم - مجلة دراسات فلسفية - ٢٠٢٠م.

ركز البحث على البعد الفلسفي للواجب الأخلاقي عند كانط وعلاقته بالتصورات المسيحية الحديثة، دون التعرض للرؤية الإسلامية.

٣- الأخلاق الإسلامية: المبادئ والمقاصد" - د. عبد الرحمن العبد الله -كتاب منشور - دار الفكر العربي - ٢٠١٥م.

استعرض المبادئ الأخلاقية في الإسلام عمومًا دون تخصيص لمفهوم الواجب الأخلاقي أو مقارنته بالتصورات المسيحية.

*** ملخص الدراسات السابقة**

تركزت الدراسات السابقة إما على القيم الأخلاقية عامة في الأديان السماوية، أو على البعد الفلسفي للواجب الأخلاقي من منظور غربي مسيحي، مع قلة الأبحاث التي تقارن التصور الإسلامي بالمسيحي في هذا الجانب مباشرة.

*** التعليق على الدراسات السابقة**

تظهر الحاجة إلى هذا البحث من خلال: -

١- ندرة الدراسات التي تقارن الواجب الأخلاقي من منظور ديني إسلامي مسيحي صِرف.

٢- افتقار الدراسات القائمة إلى الجمع بين التحليل النصي والموازنة الفلسفية الدينية.

٣- اقتصار معظمها على النظريات الوضعية أو الأخلاق الاجتماعية دون بيان الجذور الدينية للواجب.

*** الفارق بين البحث الحالي والدراسات السابقة**

يتميّز البحث الحالي بأنه: -

١- مخصص لمفهوم الواجب الأخلاقي فقط، لا الأخلاق العامة.

٢- يعتمد على النصوص المقدسة في الإسلام والمسيحية دون النظريات الوضعية.

٣- يقوم بمقارنة تحليلية نقدية تجمع بين العرض والموازنة والتقييم.

٤- يقدّم موازنة فكرية تُبرز تمايز التصور الإسلامي ضمن سياق فلسفي ديني.

*** الواجب الأخلاقي، ودعوة الأديان إليه.**

أولا: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحًا.

الأخلاق جمع خُلُقٍ، والخُلقُ -بضَمِ اللَّامِ وسُكونِها- هو الطَّبعُ والسَّجيَّةُ والمروءة والدين، وحقيقة الخلق أنَّه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المُختصَّة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافِها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة؛ ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع[1]

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور ، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ (١٠/ ٨٦، ٨٧)، القاموس المحيط مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف:

"والخَلقُ والخُلقُ في الأصلِ واحدٌ... لكن خُصَّ الخَلقُ بالهَيئاتِ والأشكالِ والصُّورِ المُدرَكةِ بالبَصَرِ، وخُصَّ الخُلُقُ بالقوى والسَّجايا المُدرَكةِ بالبَصيرةِ"(٢)

*** معنى الأخلاق اصطلاحا**

ذكر العلماء قديماً وحديثاً تعريفات كثيرة ومتنوعة للأخلاق فمن القدماء عرفه الجُرجاني وذكره أبو حامد الغزالي أنه: "هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"[٣] ، وهذه الحالُ تَنقَسِمُ إلى قِسمَينِ: منها ما يَكونُ طَبيعيًّا من أصلِ المِزاجِ، ومنها ما يَكونُ مُستَفادًا بالعادةِ والتَّدَرُّبِ، وربُّما كان مَبدَؤُه بالرَّوِيَّةِ والفِكرِ، ثمَّ يَستَمِرُّ أوَّلًا فأوَّلًا، حتَّى يَصيرَ مَلَكةً وخُلُقًا".[٤]

وذكر الدكتور محمد عبدالله دراز أن: "الخلق هو قوة راسخة في الإرادة تترع بها إلى اختيار ما هو خير وصلاح [إن كان الخلق حميداً] أو إلى اختيار ما هو شر وجور [إن كان الخلق ذميماً]"(٥)، وقيل "الخلق صفة مستقرة في النفس –فطرية أو مكتسبة– ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة".[٦]

ومعنى ذلك "أن الخلق صفة مستقرة في النفس — فطرية أو مكتسبة — ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة، فالخلق منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم والإسلام يدعو إلى محمود الأخلاق وينهى عن مذمومها[٧].

محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م ص٨٨١، تاج العروس من جواهر القاموس محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت عدد الأجزاء: ٤٠ أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م) وصَوّرتْ أجزاءً منه: دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما (٢٥٧/٢٥)

(٢) المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ ص٢٩٧

(٣) التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ١٠١، إحياء علوم الدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الناشر: دار المعرفة – بيروت (٥٣/٣).

(٤) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب الناشر: مكتبة الثقافة الدينية الطبعة: الأولى (ص٤١) بتصرف.

(٥) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية ، دار القلم بالكويت ص٨٨

(٦) الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (ص١٠).

(٧) المرجع السابق (ص١٠).

الأخلاق شرعًا: عند النظر لنصوص الشارع الحكيم تجد أن الاستخدامَ الشرعي للفظ "الخُلُق"، لم يختلف كثيرًا عن الوضع اللغوي والاصطلاحي لهذه الكلمة.

وقد جاءت كلمة الخُلُق في القرآن في موضعين: الأول: قوله تعالى على لسان قوم هود: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٧]. فخُلُق الأولين هنا بمعنى دِينهم وعادتهم وأخلاقهم ومذهبهم.[٨]

الثاني: قوله — عز وجل – مخاطبًا سيد الخَلْق محمدًا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] قال ابن عباس ومجاهد — رحمهما الله–على خلق، على دين عظيم من الأديان، ليس دين أحب إلى اللّه تعالى ولا أرضى عنده منه، وقال الماوردي: أي إنك على طَبْع كريم.[٩]

أما في السُّنَّة المطهَّرة، فقد استخدمت لفظة الخُلُق كثيرًا: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس"[١٠]، قال العظيم أبادي: "قال عبد اللّه بن المبارك– رحمه الله–: حسن الخلق طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى، وقال غيره : حسن الخلق قسمان أحدهما مع اللّه عز وجل وهو أن يعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذرا وَكل ما يأتي من اللّه يوجب شكرا فلا تزال شاكرا له معتذرا إليه سائرا إليه بين مطالعة وشهود عيب نفسك وأعمالك، والقسم الثاني حسن الخلق مع الناس وجماعة أمران بذل المعروف قولا وفعلا وكف الأذى قولا وفعلا.[١١]

وعرَّف بعض الباحثين الأخلاق في نظر الإسلام بأنها عبارة عن: "مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه".[١٢]

---

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م (٦١٤/١٧) وما بعدها بتصرف.

(٩) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة
الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (٢٢٧/١٨).

(١٠) أخرجه مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة
عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م كتاب البر والصلة والآداب- باب تفسير البر والإثم (١٩٨٠/٤) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(١١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ (٩١/١٣).

(١٢) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجين رسالة دكتوراه منشورة، ط ١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧، (ص ٧٥) كما في ((نضرة النعيم)) لمجموعة باحثين (٦٦/١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الناشر دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة : الرابعة (٦٦/١).

وأمَّا الأخلاقُ كعلمٍ فقد عُرِّفت بعدَّةِ تَعريفاتٍ أهمها: أنه : علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح".[١٣]

ثانيا: الدعوة للأخلاق عند كل من الإسلام والمسيحية وفي رسالات المصلحين

لقد دعت الشرائع السماوية جميعها، منذ عهد آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ، إلى التمسك بالأخلاق الكريمة، وجعلت ذلك من أعظم مقاصدها، فحثت الرسل وأتباعهم والدعاة إلى الله والمصلحين في مختلف الأزمنة والأمكنة على ترسيخ المبادئ الأخلاقية بين الناس. و لم تخلُ رسالة سماوية أو شريعة وضعية من الدعوة إلى مكارم الأخلاق، والتنظيم القيمي لعلاقات البشر، بما يحقق صلاح المجتمعات، وسعادة الإنسان، وعمارة الأرض. ويقوم الواجب الأخلاقي في المنظور الإسلامي على أصول راسخة من القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ هما المصدران الرئيسان للأخلاق الإسلامية، بما تضمّناه من أوامر ونواهٍ ومبادئ في الصدق، والرحمة، والعدل، والتواضع، والمسؤولية، وغيرها من الفضائل. وكذا الأمر في المسيحية، حيث يُعدّ الكتاب المقدس وتعاليم السيد المسيح عليه السلام المصدر الأساسي للأخلاق المسيحية، بما فيها من وصايا تحث على المحبة، والصفح، والرحمة، والعفو، والتواضع، لتحقيق مجتمع إنساني فاضل[١٤].

*** الأسس الدينية للواجب الأخلاقي في الإسلام**

يشتمل الواجب الأخلاقي في الإسلام على الالتزام بمجموعة كبيرة من المبادئ التي تنظم شئون الحياة؛ تنظم حياة الإنسان مع نفسه ومع غيره، مع من يتفق معه ومع من يختلف معه، مع الإنسان والحيوان والنبات والجماد، تنظم حياة الإنسان مع كل الكون من حوله من أجل القيام بعمارة الأرض التي أمر الله بها من هذه المبادئ منها: الصدق، والأمانة، والرحمة، والصبر، والتواضع، والأدب، الحلم، السماحة، تحمل المسؤولية، العدل، والإنصاف، والشجاعة الكرم، والإحسان، والعفو، والإيثار.

وفي المقابل البعد عن الأخلاق الرزيلة، مثل الكذب، والغش، والغيبة، والنميمة، والأنانية، والحقد، والبخل، والظلم، والكره، والتعصب.

*** الواجب الأخلاقي في القرآن الكريم**

يُعد القرآن الكريم المصدر الأصيل للواجب الأخلاقي للمسلمين؛ وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات في مدح خلق النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، وقال سبحانه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، [القلم: ٤]؛ قال ابن كثير رحمه الله: "ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثالُ القرآن – أمرًا

---

(١٣) المعجم الوسيط نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة: الثانية [كُتِبَتْ مقدمتُها ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م (٢٥٢/١).

(١٤) وقد تناول الجيزاني في هذا الموضع أهمية الأخلاق في الشرائع السماوية، وبيّن أن جميع الرسالات دعت إليها، وذكر مصادر الواجب الأخلاقي في الإسلام والمسيحية. انظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزاني، ط ٣، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٢٥-٢٧.

ونهيًا – سجيَّةً له وخُلُقًا، فما أمره به القرآن فَعَلَهُ، وما نهاه عنه تركه، هذا ما جَبَلَهُ الله عليه من الخُلُق العظيم؛ من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خُلُقٍ جميل[١٥]

وقد جمع الله تعالى لنبيِّنا مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال جعفر الصادق: أمر الله نبيَّه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آيةٌ أجمعُ لمكارم الأخلاق من هذه الآية"[١٦]

وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ قال الواحدي: "أي: فبنعمة من الله وإحسان منه إليك لِنْتَ لهم يا محمد؛ أي: سهُلت أخلاقك لهم، وكثُر احتمالك، ولو كنت فظًّا غليظًا في القول، غليظ القلب في الفعل، لَتفرَّقوا من حولك[١٧].

وكما مدح النبي صلى الله عليه وسلم بعظيم الأخلاق الطيبة مدح إخوانه من الأنبياء كذلك ومن ذلك قوله تعالى عن نوح عليه السلام ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ [الإسراء: ٣] ، وعن إبراهيم عليه السلام ﴿ إِنَّ إِبرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ ، وعن هود عليه السلام ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾، [مريم ٤١] وعن يوسف عليه السلام قال ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] وعن مجموعة أخرى من الأنبياء والمرسلين قال ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم:56]، وقال ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء:٨٥] .

وقد تضمن القرآن الكريم دستوراً للأخلاق ورد في العديد من الآيات الكريمات ومنها ما ورد في وصايا لقمان في قول الله تعالى ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ* وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

كما حث القرآن الكريم على الالتزام بكل خلق سني والبعد عن كل خلق دني في الكثير من الآيات نذكر منها: الإيثار قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر ٩، الوفاء بالعهد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ .الإسراء ٣٤

(١٥) تفسير القرآن العظيم عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (٢٠٨/٨)

(١٦) فتح الباري بشرح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية – مصر الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ (٣٠٦/٨)

(١٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م (٥١٢/١)

النهي عن الإسراف والتبذير والبخل والتقتير قال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا* إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ . الإسراء ٢٦/٢٧

العدل في جميع الظروف ولجميع الناس ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿النحل: ٩٠﴾ قال البغوي: "إن الله يأمر بالإنصاف، والإحسان إلى الناس". وقال مقاتل: العدل: التوحيد، والإحسان: العفو عن الناس، وإيتاء ذي القربى: صلة الرحم، وينهى عن الفحشاء: ما قُبح من القول والفعل، وقال ابن عباس: الزنا، والمنكر: ما لا يُعرَف في شريعة ولا سُنَّة، والبغي: الكِبْرُ والظلم، ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لعلكم تتَّعظون، قال ابن مسعود: أجمع آيةٍ في القرآن هذه الآية[١٨].

وحتى مع الأعداء قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة ٨]

التعاون على البر والتقوى وما يفيد الناس والنهي عن التعاون على الظلم والعدوان قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة ٢]، وفي الصبر[١٩]، والصدق[٢٠] ، والتواضع[٢١] .

كما دعا إلى الأخلاق الكريمة حتى مع المخالفين؛ فقال تعالى: ﴿ لَا ينهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وفي المقابل : ذكر بعضًا من المنهيات الأخلاقية فقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .....﴾ [الأنعام: ١٥١ – ١٥٣]، وقال تعالى ﴿ يَا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ..﴾ [الحجرات: ١١-١٢] .

والقرآن الكريم يربط الأخلاق بالدِّين الإسلاميِّ عَقيدةً وشَريعةً ربطاً قويّاً، والأمثلة على ذلك كثيرةٌ؛ منها: قوله تعالى في الصلاة: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ، وقوله في الزَّكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] ، وقوله في الصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تتقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقوله في الحَجِّ:

(١٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ (٩٢/٣)

(١٩) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر ١٠].

(٢٠) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة ١١٩].

(٢١) قال تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص٨٣].

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ..﴾ [البقرة: ١٩٧] ، وفي سورة الرَّعد كانت العناية بالجانب الأخلاقيِّ في وصف أصحاب العقول، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ *الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ *وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ.. ﴾ [الرعد: ١٩ – ٢٢].

*** الواجب الأخلاقي في السنة النبوية**

كما اهتمت آيات القرآن الكريم بالواجب الأخلاقي جاءت السنة النبوية القولية والعملية مؤكدة ومبينة لهذا الواجب الأخلاقي ولَّما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتثل أمر الله تعالى في كل شأنه قولا وعملا، ويأتمر بكل أخلاق حسنة ورد الأمر بها في القرآن، وينتهي عن كل أخلاق سيئة ورد النهي عنها في القرآن؛ لذا كان خلقه القرآن، وكان النبي صلى الله عليه وسلم "أحسن الناس خلقا"(٢٢)

وعن عطاء رضي الله عنه قال: "قلتُ لعبدالله بن عمرو: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال: "أجل والله، إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحِرْزًا للأُمِّيِّين، أنت عبدي ورسولي، سَمَّيتُك المتوكل، لا فظٌّ ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئةَ، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يُقيمَ به المِلَّةَ العَوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعْيُنًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا"(٢٣).

ورغم أن القرآن الكريم امتدحه صلى الله عليه وسلم بحُسْنِ خُلُقِه، وجاء وصفه في التوراة بهذه الأوصاف، إلا أنه كان يدعو ربه سبحانه وتعالى أن يُحسِّن خُلُقَه؛ فكان صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم أحسنتَ خَلْقِي فأحسن خُلقي"(٢٤) ، كذلك كان يتعوَّذ من سوء الأخلاق فكان يدعو فيقول: "اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنِّفاق وسوء الأخلاق"(٢٥)، وبين عنوان بعثته بقوله "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٢٦)

(٢٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا عن أنس (١٨٠٤/٤).
(٢٣) صحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المحقق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م كتاب البيوع » باب كراهية السخب في السوق (٧٤٧/٢)
(٢٤) مسند أحمد الإمام أحمد بن حنبل المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد – وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة باقي مسند الأنصار » حديث السيدة عائشة رضي الله عنها (٦/ ٣٧٣).
(٢٥) سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت كتاب الصلاة باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستعاذة (٩١/٢)
(٢٦) مسند أحمد باقي مسند المكثرين - مسند أبي هريرة رضي الله عنه (١٤/ ٥١٣).

وقد كان صلى الله عليه وسلم يأمر دائمًا بحسنِ الخُلق؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتق الله حيثُما كنت، وأتبِع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلق حسن"(٢٧)

ومن الأحاديث التي تبين مكانة حسن الخلق قوله صلى الله عليه وسلم "إن المؤمن يدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار"(٢٨) ، وقوله: "إن من أحبكم إلي، وأقربكم منِّي مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إليَّ، وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون" قالوا: يا رسول الله! قد علمنا ﴿الثرثارون، والمتشدِّقون﴾، فما المتفيهقون؟ قال: "المُتكبِّرون"(٢٩)

وقد سُئِلَ رسول الله عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: "تقوى الله وحسن الخلق"، وسُئِلَ عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: "الفم والفرج".(٣٠)

والأحاديث النبوية التي تأمر بالالتزام بالأخلاق الطيبة والبعد عن كل الأخلاق المذمومة وثواب الطائعين وعقوبة العاصين أكثر من أن تعد أو تحصى وقد أفرد لها علماء الحديث كتبًا وأبوابًا منفصلة.

*** التطبيق العملي للواجب الأخلاقي في الإسلام.**

قبل أن نذكر التطبيق العملي للواجب الأخلاقي في الإسلام ونتائجه ينبغي ان نذكر أن هناك العديد من الاختلافات الهامة جدًا بين الأخلاق الإسلامية والأخلاق النظرية: –

فمصدر الأخلاق الإسلامية هو الوحي الإلهي، ولذلك فهي قيم ثابتة ومثل عليا تصلح للجميع بصرف النظر عن الجنس والزمان والمكان، أما مصدر الأخلاق النظرية فهو العقل البشري المحدود أو العرف المجتمعي، ولذلك فهي متغيرة من مجتمع لآخر ومن مفكر لآخر.

كما أن مصدر الإلزام في الأخلاق الإسلامية هو شعور الإنسان بمراقبة الله عز وجل له، أما مصدر الإلزام في الأخلاق النظرية فهو الضمير المجرد أو الإحساس بالواجب أو القوانين الملزمة.

فالأخلاق الإسلامية تعطي التوازن بين مطالب الروح والجسد والعقل والقلب وتقبلها الفطرة السليمة، لهذا

(٢٧) سنن الترمذي سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، وفي كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في معاشرة الناس (٣٥٣/٤) وفي مسند أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم » حديث أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه (٣٥/ ٢٨٤).

(٢٨) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في حسن الخلق(٢٥٢/٤).

(٢٩) سنن الترمذي أبواب البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق (٣٧٠/٤).

(٣٠) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » باب ما جاء في حسن الخلق(٣٦٣/٤)، سنن ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي كتاب الزهد باب ذكر الذنوب(١٤١٨/٢).

كان التطبيق العملي للواجب الأخلاقي في الإسلام من السهولة بمكان.

ولأن تجسيد المسلمين الأوائل للإسلام تجسيد لدستور رباني بأكمله فإنه يتعذر الحديث عنه مجتمعاً لذلك سيظهر ذلك التجسيد في مجموعة من النقاط التي سنوردها للبيان لا الحصر هي: -

١- العفو والسماحة مع من أساء: وأبرز مواقف السماحة ما يكون مع من أحسنت إليه ورد الإحسان بالإساءة كما في قصة مسطح بن أثاثة وتورطه في حديث الإفك وعفو سيدنا أبي بكر عنه.

٢- التفاني في الدين مع تقدير قيمة العمل فقد كان السلف الصالح رهبانًا في الليل بين يدي ربهم فرسانًا في النهار يقومون بعمارة الأرض ونشر الدعوة فيها.

٣- البذل في سبيل الله : ومن أمثلة ذلك ما قام به أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان والحسن بن على وعبد الرحمن بن عوف عمير بن الحمام.

٤- الإخاء والإيثار: ومن أهم مواقفها ما حدث من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة

٥- الأمانة: ويعلم الجميع كيف تجسدت الأمانة في أصعب اللحظات مع النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج مهاجراً ولم ينس في وقت شدته ـــ ومع ما فعله معه كفار مكة ـــ أن يترك سيدنا على بن أبي طالب ليرد الأمانات لأصحابها.

٦- الوفاء بالعهود والمواثيق حتى مع الكفار: ومن ذلك: ما كان من بنود الصلح مجحفة في صلح الحديبية ومع ذلك التزم المسلمون بها، وهذا معاوية في هدنة مع الروم تأتيه عيونه بأنباء تفيد أن القوم يستغلون الهدنة للاستعداد لهجوم مفاجئ على المسلمين فيهم معاوية أن يفاجئهم قبل أن يكملوا عدتهم ولكن مستشاريه يأبون عليه يقولون إما أن تنبذ إليهم على سواء كما أمر الله وإما أن تنتظر حتى نهاية العهد ثم تناجزهم. وينتظر معاوية. وينصر الله جيشه. (٣١)

وغير ذلك الكثير من المواقف المبثوثة في كتب التاريخ الإسلامي مما جاء بنتائج عظيمة تمثلت في قيام الدولة الإسلامية الحديثة بكل ما تعنيه الكلمة وانتشار الدعوة الإسلامية في ربوع الأرض يحرسها التزام المسلمين بأخلاقهم ومعاملاتهم، النهضة والتقدم في شتى المجالات الثقافية والعلمية التي افادت العالم أجمع وليس العالم الإسلامي فقط.

*** الأسس الدينية للواجب الأخلاقي في المسيحية**

*** تمهيد**

تستند الأخلاق المسيحية إلى أصول دينية واضحة، تجعل من الواجب الأخلاقي التزامًا دينيًا قبل أن يكون التزامًا اجتماعيًا أو إنسانيًا، فهي مستمدة من نصوص الكتاب المقدس وتعاليم السيد المسيح عليه السلام، وتقوم على مبادئ المحبة والرحمة والعفو، وترتبط بتصور الإنسان عن الخلاص والحياة الأبدية.

*** الواجب الأخلاقي في الكتاب المقدس**

يحظى الكتاب المقدس بالاحترام والإلزام باعتباره الكتاب المقدس في المسيحية وله دور بالغ الأهمية كمرشد للأخلاق المسيحية، حيث يقدم إطاراً شاملاً وموثوقًا لاتخاذ

(٣١) واقعنا المعاصر محمد قطب دار الشروق الطبعة الأولى ١٤١٨ه ١٩٩٧ م (ص٨٠).

القرارات الأخلاقية، توفر تعاليمها للمؤمنين بوصلة أخلاقية للتنقل في تعقيدات الحياة.

من خلال الروايات والأمثال والتعاليم المباشرة، يتناول الكتاب المقدس عدداً لا يحصى من القضايا الأخلاقية، ويقدم نظرة ثاقبة لعواقب الأفعال والفضائل التي تحدد الحياة التقية. وفيه قصص شخصيات مثل موسى وداود، وتعاليم يسوع كلها تجسد تطبيق المبادئ الأخلاقية في مواقف الحياة المختلفة.

في جوهره، لا يستعمل الكتاب المقدس كوثيقة تاريخية ولاهوتية فحسب، بل كدليل حي يُعلم ويشكل باستمرار القناعات الأخلاقية للمسيحيين، وهكذا، فإن الكتاب المقدس يمثل أساساً لا غنى عنه للقيم الأخلاقية المسيحية، مما يوفر الوضوح والدقة في الرحلة الأخلاقية لأتباعه.

يضم الكتاب المقدس – العهد القديم والعهد الجديد – جملة من المبادئ والقيم التي تشكل الإطار العام للسلوك الإنساني. فقد تضمنت التوراة ﴿العهد القديم﴾ وصايا أخلاقية، أشهرها الوصايا العشر، والتي اشتملت على مبادئ أساسية هي: "أنت لا يكون لك آلهة أخرى سواي، لا تصنع لك تمثالاً أو صورة أي شيء مما في السماء من فوق أو مما في الأرض من تحت أو مما في الماء من تحت الأرض. لا تعبدها ولا تسجد لها، لا تذكر اسم الرب إلهك عبثًا، تذكر يوم السبت لتتقدسه، أكرم أباك وأمك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور على قريبك، لا تشته بيت قريبك ولا تشته امرأة قريبك ولا خادمه ولا خادمة ولا بقره ولا حمار ولا أي شيء لقريبك.(٣٢)

هذه الوصايا العشر، الواردة في سفر الخروج، تلخص الضرورات الأخلاقية التي تمثل توجيهات خالدة للحياة الصالحة. فمن النهي عن السرقة والباطل إلى الدعوة إلى بر الوالدين، تشكل هذه الوصايا دليلاً شاملاً للسلوك الأخلاقي، وهكذا تظهر الواجبات الأخلاقية والعدل في المعاملات أسس القيم الأخلاقية المسيحية.

أما العهد الجديد، فقد أكد على تلك القيم ووسع من نطاقها، وأضاف إليها أبعاداً روحانية تتجاوز السلوك الظاهري إلى مقاصد النفس ونيات القلب، كما في موعظة الجبل الموجودة في إنجيل متى. وهي من أهم النصوص الأخلاقية في المسيحية، هذا الخطاب الذي ألقاه يسوع يتعمق في جوهر الأخلاق المسيحية. في خطاب يدعو إلى التواضع والرحمة وصنع السلام.

ولا تؤكد الموعظة على الجبل المبادئ الأخلاقية الموجودة في العهد القديم فحسب، بل تقدم أيضًا نموذجًا تحويليًا للحياة الأخلاقية في الإيمان المسيحي.

*** الموعظة على الجبل**

١- التطويبات: يسوع يعلن عن بركة الله على الفقراء في الروح، والحزانى، والطوالع، والمؤمنين، والبررة، والمرضى، والمضطهدين.

٢- التحذيرات: يسوع يحذر من الافتراء، والتعاسة، والإدانة، الصلوات: يسوع يعلم المؤمنين كيفية الصلاة بصدق

(٣٢) انظر: الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج (٣٠: ١-١٧).

وإخلاص، تطبيق الناموس: يسوع يوضح كيف يجب على المسيحيين تطبيق وصايا الناموس بشكل أعمق.

٣- رسالة المسيح: يسوع يعلن عن طبيعة الإيمان المسيحي والأعمال الصالحة[٣٣]، وهكذا دعوة المسيح إلى محبة الأعداء[٣٤]، والعفو عن المسيء، وإحسان الظن، والتواضع، وترك الحقد[٣٥] ، وهكذا أرسى المسيح مبادئ الرحمة، والسلم، والطهارة القلبية، والصفح عن الآخرين، وتقديم المحبة غير المشروطة.

ويقرر أحد الباحثين أن: "الأخلاق في المسيحية مستمدة أساسًا من الكتاب المقدس، حيث تتجلى فيه منظومة من المبادئ الأخلاقية تهدف إلى ضبط علاقة الإنسان بنفسه، وبغيره، وبالإله".[٣٦]

*** تعاليم المسيح ومحورها الأخلاقي**

تُعد تعاليم المسيح عليه السلام، كما وردت في الأناجيل، الأساس للأخلاق المسيحية، والواجب الأخلاقي في المسيحية يتلخص في مبدأين أساسيين: حب الله وحب القريب. "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها: "تحب قريبك كنفسك"[٣٧] وقد اقتبس يسوع هاتين الوصيتين من العهد القديم.[٣٨]

يرى المسيحيون أن حب الله هو الأساس الذي يبنى عليه كل الواجبات الأخلاقية الأخرى، وأن حب القريب هو تطبيق عملي لهذه المحبة.

حب الله: يتجلى هذا الحب في العبادة، والصلاة، ودراسة الكتاب المقدس، والعمل على تمجيد الله في كل جوانب الحياة.

حب القريب: يتطلب هذا الحب أن نعامل الآخرين كما نرغب أن يعاملنا، وأن نبذل جهودًا لمساعدتهم وتخفيف معاناتهم.

كما دعت تعاليم المسيح إلى تطهير النفس قبل العمل، وأكد على الرحمة، والصفح، والتواضع، والزهد في الدنيا، ومحبة الآخرين، والتأكيد على خدمة الآخرين خاصة الضعفاء والمحتاجين.[٣٩]

كما تتضمن أيضًا تجنب السلوكيات التي تضر بالآخرين أو تبتعد عن تعاليم الكتاب المقدس، مثل الكذب، والغيبة، والظلم.

وجاءت نصوص الأناجيل تؤيد ذلك "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب"[٤٠] وقال "لأن من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع"[٤١] ، الله محبة، لذا فهو يأمرنا

(٣٣) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد (متى ٥-٧)
(٣٤) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد، (متى ٥: ٤٤).
(٣٥)انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد، (متى ٥-٧).
(٣٦) الأخلاق في الديانات السماوية، محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة: دار الثقافة للنشر، ٢٠٠٣م، (ص ١٥٥).
(٣٧) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد (مت ٢٢:٣٧-٣٩)
(٣٨) انظر: الكتاب المقدس، العهد القديم (تث ٦:٥؛ لا ١٩:١٨)
(٣٩) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد، (لوقا ٦: ٢٧-٣٦)
(٤٠) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد (مت ١١:٢٩)
(٤١) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد (مت ٢٣:١٢؛ لو ١٤:١١؛ ١٨:١٤)

أن نحب[٤٢] وهو قدوس ويأمرنا أن نكون قديسين[٤٣]، وهو رحيم ويأمرنا أن نكون رحماء[٤٤].

واتباعًا لتعاليم يسوع في خدمة الآخرين أنشأت الكنيسة المستشفيات والمدارس والجامعات والجمعيات الخيرية ودور الأيتام والملاجئ لمن هو بلا مأوى، يقول وليم لاكوبير: "لم يقتصر المسيح في أخلاقه على الوصايا، بل تجاوزها إلى الدعوة لتغيير قلب الإنسان وسلوكه الباطني، حتى تصدر أفعاله عن نقاء داخلي".[٤٥]

*** أثر المحبة في تصور الواجب الأخلاقي**

في مجال القيم الأخلاقية المسيحية، تحتل فضيلة الحب الأسمى مركز الصدارة. في قلب الأخلاق المسيحية تكمن الوصية العظمى، التي تردد صدى تعاليم يسوع المسيح: ''أحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والأعظم. والثانية هي مثله: ''أحب قريبك كنفسك''(٤٦)، هذا المبدأ الأساسي يلخص جوهر الأخلاق المسيحية، ويحدد نغمة الحياة التي تتميز بالحب والرحمة.

ومن خلال محبة الله من كل القلب، يجد الأفراد أنفسهم يميلون بشكل طبيعي إلى التعبير عن هذا الحب من خلال التصرفات والمواقف الرحيمة تجاه الآخرين. مما يخلق مجتمعًا يتسم بالتعاطف من خلال الأفعال والمواقف فيتجاوز مجرد المشاعر، ويدفع المؤمنين إلى مد يد العون إلى المحتاج وإظهار التعاطف في أوقات الشدة.

ولا تقتصر المحبة على أصناف دون أصناف وإنما تصل إلى الدميع حتى الأعداء الذين قد يقدمون الإساءة ، يقول المسيح "سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إِلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إِليكم ويطردونكم، لكي تَكونوا أبناء أَبيكم الذي في السماوات، فإنه يشرِق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين"[٤٧].

ويكمل فيقول "فإن أحببتم من يحبكم، فأي أجر لكم؟ أليس حتى العشارون يفعلون ذلك؟ وإن سلمتم على إخوتكم فقط، فأي فضل تصنعون؟ أليس حتى الأمم يفعلون ذلك؟ فكونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم السماوي كامل".[٤٨]

يشترك المسلمون والمسيحيون في الكثير من المعتقدات منها: التأكيد على أن هناك ربًا واحدًا هو وحده المستحق للعبادة، أرسل رسله للبشر ليبيّنوا لهم منهج الحياة الصحيح.

وتتشابه الأخلاق في الإسلام والمسيحية في العديد من الجوانب؛ فالأخلاق الإسلامية التي تنظم حياة المسلم تلتقي في العديد من المجالات بحلالها وحرامها مع الأخلاق التي تنظم حياة المسيحي، حيث تركز كلتا الديانتين على القيم الأخلاقية

(٤٢) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد (١ يوحنا ٤: ١٩)
(٤٣) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد (١ بطرس ١: ١٥)
(٤٤) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد (لوقا ٦: ٣٦)
(٤٥) وليم لاكوبير، المسيحية: مبادئها وأخلاقها، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٨م، ص ٧٣.
(٤٦) الكتاب المقدس، العهد الجديد (متى ٢٢: ٣٧-٣٩)
(٤٧) الكتاب المقدس، العهد الجديد (مت ٥: ٤٣-٤٤)
(٤٨) الكتاب المقدس، العهد الجديد (متى ٥: ٤٦-٤٨)

الأساسية مثل المحبة، والعدل، والصدق، والأمانة، والرحمة، والتسامح، وصلة الرحم، ومع ذلك هناك اختلافات بين الواجب الأخلاقي من وجهتي النظر الإسلامية والمسيحية.

*** نقاط الالتقاء بين التصورين**

مصدر الواجب (إلهي) فالمؤمن الحقيقي مطالب بالإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وما أنزل الله عليهم من كتب سماوية ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

مركزية الأخلاق في الدين: تتفق وجهة النظرة بين الإسلام والمسيحية على مركزية الأخلاق في الدين ووصفها بأنها أصل من أصول الدين والمتتبع للواجبات الأخلاقية في الإسلام والمسيحية يجد:

كلاهما يدعو إلى محبة الله ومحبة الناس، ففي الإسلام " عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(٤٩)، وفي المسيحية "وصيّة جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضا. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم بعضكم بعضا"(٥٠)

كلاهما يدعو إلى التعامل مع الآخرين بالرحمة والعفو والتسامح واحترام المعتقد ففي الإسلام قال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت٤٦]، وقال ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة٢٥٦]، وفي المسيحية قال المسيح:" فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي"(٥١)، والتعايش المقصود هنا يعني أن يحتفظ المسلم بخصوصيته الإسلامية كما يحتفظ المسيحي بخصوصيته ولكنهما يلتقيان على الأرض المشتركة.

وكلاهما يدعو إلى العدل في الحكم والمعاملات وعدم ظلم الآخرين، ففي الإسلام العدل أحد أسماء الله الحسنى وجميع أفعال الله تعالى منزهة كاملة وحكمه عادل، ويرتكز منهج الإسلام في قيمة العدل حول مفهوم المساواة بين البشر فهو لا يفرق بين الناس على أساس الدين أو العقيدة، قال الله عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدلِ والإحسان وَإِيتَاءِ ذي القُربى وَينهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل٩٠]، وهذا الأمر بالعدل هو أساس حكم كل الأنبياء صلوات الله عليهم وسلم يقول الله عز وجل في خطاب وجهه لداوود عليه السلام: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (ص:٢٦)

أما في المسيحية: فمفهوم العدل يدور في ذات المحور الخاص به في الإسلام، فالله هو العادل في ذاته، وفي حكمه وصنيعه وشريعته وتوجيهه، ورد في المزامير: "بار أنت يارب، وأحكامك مستقيمة عدلا أمرت بشهادتك وحقا إلى الغاية عَدْلُكَ عَدْلٌ إِلَى الدَّهْرِ وَشَرِيعَتُكَ حَقٌّ عادلة شهادتك إلى الدهر فهمني فأحيا"(٥٢).

(٤٩) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان - باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه(١٤/١) ، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (٦٧/١) عن أنس

(٥٠) الكتاب المقدس العهد الجديد (يوحنا ١٣: ٣٤)
(٥١) الكتاب المقدس العهد الجديد (مت ٦: ١٤).
(٥٢) الكتاب المقدس العهد القديم سفر المزامير المزمور المائة و التاسع عشر

وأحكام الله عادلة ومستقيمة في سفر أيوب: "لأجل ذلك اسمعوا لي يا ذوي الألباب. حاشا لله مِنَ الشّرّ وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ، لأَنّهُ يُجَازِي الإِنْسَانَ عَلَى فِعْلِهِ وَيُنِيلُ الرّجُلَ كَطَرِيقِهِ، فَحَقّاً إِنّ اللهَ لاَ يفْعَلُ سُوءاً وَالْقَدِيرَ لاَ يعَوّجُ الْقَضَاءَ"(٥٣)

وكلاهما يحث على الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين والإنفاق في سبيل الله أو في سبيل الخير، ففي الإسلام يقول تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة١٠٣]، ويبين لنا في وصف المتقين ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوم ﴾ [الذاريات:١٩]

وفي المسيحية يقول عيسى عليه السلام في دعاء له: "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم"(٥٤)، ويحذر من كنز المال فيقول:" لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يُفسِدُ السوس والصّدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا كنوزا في السماء".(٥٥)

وكلاهما يدعو إلى الخير والرحمة ومعاونة الناس ونصر المظلوم وفك المكروب وسائر القربات في الإسلام، جاء في القرآن الكريم في وصف الأبرار في الجنة ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان ٧-٩]، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن الله عز وجل يقول يوم القيامة "يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي".(٥٦)

وقريب منه في المسيحية: "ثم يقول للذين على يساره: ابتعدوا عني يا ملاعين إلى النار المعدة لإبليس وأعوانه! لأني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، كنت غريبا فلم تأووني، عريانا فلم تكسوني، مريضا وسجينا فلم تزوروني!

فيرد هؤلاء، أيضا قائلين: يا رب، متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو سجينا، ولم نخدمك؟

فيجيبهم: الحق أقول لكم: بما أنكم لم تفعلوا ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فبي لم تفعلوا! فيذهب هؤلاء إلى العقاب الأبدي، والأبرار إلى الحياة الأبدية"(٥٧).

هذه بعض نماذج الاتفاق بين الإسلام والمسيحية في الواجب الأخلاقي وغيرها كثير وبشكل عام فإن الواجبات

(٥٣) الكتاب المقدس العهد القديم (سفر أيوب ٣٤: ١٠-١١)
(٥٤) الكتاب المقدس العهد الجديد (مت ٦: ١١- ٣٣)
(٥٥) الكتاب المقدس العهد الجديد (مت ٦: ١٩)
(٥٦) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض (١٩٩٠/٤).

(٥٧) الكتاب المقدس العهد الجديد(متى، الإصحاح الخامس والعشرون، من العدد ٣١ إلى العدد ٤٦).

الأخلاقية الإسلامية والمسيحية تهدف إلى تحقيق الكمال الأخلاقي للإنسان، ولكن من خلال طرق مختلفة ومفاهيم مختلفة للمثالية.

*** نقاط الافتراق بين التصورين**

رغم كل ما ذكرناه من نقاط الاتفاق بين الواجب الأخلاقي في الإسلام والمسيحية إلا أنه يظل هناك نقاط اختلاف بين التصورين من أهم هذه النقاط: –

١– المصدر: يستمد الإسلام واجباته الأخلاقية من القرآن والسنة النبوية، بينما تستمد المسيحية قيمها من الكتاب المقدس، وتعاليم يسوع المسيح ووصاياه

٢– التركيز: يركز الإسلام على الأخلاق العملية والسلوكيات اليومية بتحديد دقيق للواجبات الأخلاقية، بينما يركز المسيحية على الجانب الروحي والأخلاقي الداخلي.

٣– الأبعاد: في الإسلام، توجد أبعاد أخلاقية اجتماعية وسياسية، بينما في المسيحية، تركز على الجانب الشخصي والروحاني.

٤– الغفران: الإسلام: يؤكد على أهمية التوبة وطلب الغفران من الله، بينما المسيحية: تؤكد على الغفران، ليس فقط من الله وإنما من خلال الإيمان بيسوع المسيح، وأيضًا مسامحة الآخرين. العمل الصالح: الإسلام: يؤكد على أهمية العمل الصالح والاجتهاد في الدنيا، والمسيحية: يؤكد على الإيمان والاعتماد على نعمة الله، مع أهمية العمل الصالح كتعبير عن هذا الإيمان.

٥– المحبة: الإسلام: يؤكد على المحبة والرحمة، لكنه يركز أيضًا على أهمية اتباع أوامر الله والالتزام بالشريعة، والمسيحية: المحبة هي جوهر الأخلاق المسيحية.

٦– التشريعات الأخلاقية: الإسلام: الشريعة الإسلامية لديها تشريعات أخلاقية مفصلة تتعلق بجميع جوانب الحياة، والمسيحية: تركز على المبادئ العامة والأخلاقية، مع ترك مساحة أكبر للتفسير والاجتهاد الشخصي.

*** الخطيئة والفداء**

من أهم نقاط الاختلاف في الواجبات الأخلاقية بين الإسلام والمسيحية نظرية الخطيئة والفداء، ووفقًا للتعاليم المسيحية يولد جميع البشر بطبيعة خاطئة موروثة من آدم وحواء، ولذلك فهم بحاجة إلى الفداء بالإيمان بيسوع المخلص، والفداء عندهم هو الاعتقاد أن صلب المسيح كان كفارة لخطيئة آدم التي انتقلت إلى أبنائه بالوراثة، وهذا من أهم عناصر العقائد والأخلاق المسيحية، يقول وليم نِكول، أستاذ اللاهوت:" تعلّم المسيحية أن الإنسان يولد خاطئًا بسبب خطيئة آدم، وأن هذه الخطيئة قد غُفرت بذبيحة المسيح على الصليب... وأن الخلاص لا يتم إلا بالإيمان بيسوع المسيح باعتباره المخلص والفادي"(٥٨).

وفي المقابل يرفض التشريع الإسلامي هذه النظرية بالكلية فالمسيح لم يصلب، والإنسان لا يعاقب على ذنب لم يكن له فيه يد، وفي حال أذنب الإنسان فالتوبة الصادقة منه هو لا من غيره سبيل لغفران الذنب.

(٥٨) العقيدة المسيحية في مصادرها الأصلية"، وليم نِكول، دار الثقافة، القاهرة (صـ ٩٥-٩٨).

*** تقييم وموازنة في ضوء المنهج التحليلي**

يستدل أصحاب الواجب الأخلاقي المسيحي على نظرية الصلب والفداء على نظريتهم بالكثير من نصوص الكتاب المقدس منها: "أنا هو الراعي الصالح، الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف"(٥٩).

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"(٦٠)

"إن ابن الإنسان لم يأت ليُخْدَمَ بل ليَخْدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"(٦١)، "هذا هو حمل الله الذي يزيل خطيئة العالم"(٦٢)، "يسوع المسيح البار، شفيع عند الآب، فهو كفارة لخطايانا، لا لخطايانا وحدها، بل لخطايا كل العالم أيضاً".(٦٣)

أما في الإسلام فهذه النظرية مرفوضة تمامًا فيعتقد المسلمون أن عيسى عليه السلام لم يمت على الصليب ولا توجد الذبيحة ولا النجاة ولا التثليث. يقول تعالى ﴿وَمَا قتلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قتلُوهُ يَقِينًا" (النساء ١٥٧)

كما لا يؤمن المسلمون بوجود الخطيئة الموروثة لأن أحدا لا يحمل إثم أحد ولا يفديه بنفسه جاء ذلك في العديد من الآيات القرآنية يقول تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نفْسٍ إِلَّا عَلَيهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فينبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ويقول تعالى ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يهْتَدِي لِنفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نبعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ويقول تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ ربَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يتزَكَّىٰ لِنفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ١٨﴾ [فاطر: ١٨]

ويقول تعالى ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فينبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧﴾ [الزمر: ٧]

ويقول تعالى ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ٣٨﴾ [النجم: ٣٨]

ويؤمن المسلمون كذلك أن الله سبحانه وتعالى وعد التائبين بالقبول والمغفرة لذنوبهم لأن غفران الذنب بتوبة صاحبه هو اللائق من أن يحمل غيره الذنب عنه وهو ما حدث مع سيدنا آدم كما في قوله تعالى ﴿ فتلَقَّىٰ آدَمُ مِن ربِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]، ومع من جاء بعده من البشر يقول تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبينُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة ١٦٠].

(٥٩) الكتاب المقدس العهد الجديد يوحنا (١١/١٠)
(٦٠) الكتاب المقدس العهد الجديد يوحنا (١٦/٣).
(٦١) الكتاب المقدس العهد الجديد مرقص (٤٥/١٠)
(٦٢) الكتاب المقدس العهد الجديد يوحنا(٢٩/١)
(٦٣) الكتاب المقدس العهد الجديد رسالة يوحنا الأولى (٢/٢)

*** والحاصل**

يتبيّن من خلال هذا العرض أن نظرية الفداء والخطيئة الموروثة تمثل حجر زاوية في البناء العقدي والأخلاقي المسيحي، إذ تُحمَّل البشرية تبعة خطيئة آدم ولا خلاص لهم إلا بالإيمان بفداء المسيح. أما الإسلام فقد أقام تصوره الأخلاقي على قاعدة العدل الفردي، إذ لا يُؤاخذ أحدٌ بجريرة غيره، ولا سبيل لغفران الذنب إلا بتوبة العبد نفسه. وبهذا يظهر التباين الجوهري بين التصورين في بناء المسؤولية الأخلاقية، مما يعكس اختلافًا عميقًا في أسس القيم والواجبات بين الديانتين.

*** الخاتمة**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد استعراض هذا البحث بعنوان" :الواجب الأخلاقي بين الفلسفة الدينية الإسلامية والمسيحية: دراسة تحليلية مقارنة"، وما تضمَّنه من تحليل نصوص دينية، ومقارنة بين التصورين الإسلامي والمسيحي في ضوء منهج تحليلي مقارن؛ أمكن التوصل إلى عدد من النتائج والتوصيات.

أولًا: النتائج

١- يشترك التصوران الإسلامي والمسيحي في التأكيد على مركزية الواجب الأخلاقي في الدين، وجعله جزءًا من رسالة الأنبياء وغاية من غايات التشريع.

٢- يتميّز التصور الإسلامي بثبات مرجعيته وانضباط تشريعاته الأخلاقية المستمدة من نصوص قطعية الثبوت والدلالة، المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة والتشريع.

٣- يغلب على التصور المسيحي الطابع الوجداني العاطفي، المرتكز على مفهومي المحبة والخلاص، مع افتقار للتفصيل التشريعي في مسائل الأخلاق مقارنة بالإسلام.

ثانيًا: التوصيات

١- ضرورة تشجيع الدراسات المقارنة في ميدان الأخلاق الدينية بين الإسلام والديانات الأخرى، على ضوء النصوص المقدسة الأصلية.

٢- إبراز مركزية الأخلاق في التشريع الإسلامي وربطها ببناء الفرد والمجتمع، مع بيان تمايزها عن التصورات الوضعية والدينية الأخرى.

٣- الدعوة إلى تفعيل الحوار الفلسفي الديني حول مفهوم الواجب الأخلاقي لتحقيق وئام قيمي عالمي منضبط، مع الحفاظ على الثوابت الشرعية للأمة الإسلامية.

*** المراجع**

إحياء علوم الدين أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الناشر: دار المعرفة — بيروت٠

الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ٠

تاج العروس من جواهر القاموس محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت عدد الأجزاء: ٤٠ أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م) وصَوّرتْ أجزاءً منه: دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما

التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

تفسير القرآن العظيم عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب الناشر: مكتبة الثقافة الدينية الطبعة: الأولى.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن :أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ط/دار القلم بالكويت

سنن ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

سنن الترمذي سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

صحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المحقق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

العقيدة المسيحية في مصادرها الأصلية"، وليم نِكول، دار الثقافة، القاهرة

عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب

الدين الخطيب الناشر: المكتبة السلفية – مصر
الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ
القاموس المحيط مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
الكتاب المقدس العهد الجديد (متى، الإصحاح الخامس والعشرون، من العدد ٣١ إلى العدد ٤٦).
الكتاب المقدس العهد القديم سفر المزامير المزمور المائة والتاسع عشر
الكتاب المقدس، العهد الجديد
الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج
لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ه.
مسند أحمد الإمام أحمد بن حنبل المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد – وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة
المسيحية: مبادئها وأخلاقها، وليم لاكوير، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٨م،
معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزاني، ط ٣، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م،
معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ
المعجم الوسيط نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة: الثانية [كُتِبَتْ مقدمتُها ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢م
المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ .
نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الناشر دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة: الرابعة
واقعنا المعاصر محمد قطب دار الشروق الطبعة الأولى ١٤١٨ه ١٩٩٧ م
الوسيط في تفسير القرآن المجيد أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس –قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م